

البعد الاجتماعي للغة

د . مختار محمد سالم كلية الآداب- جامعة الزيتونة

ملخص البحث:

حظي موضوع اللغة باهتمام العديد من المفكرين والباحثين ، لما له من دور في الاهتمام بالقضايا والمشكلات المطروحة ، لذا انطلقت هذه الدراسة للتعرف على العلاقة الاجتماعية بين اللغة والمجتمع، وتتبع أهمية الدراسة في أنها تسهم في فهم طبيعة البعد الاجتماعي للغة ، واستخدم الباحث المنهج الوصفي لكونه أنسب المناهج البحثية لمثل هذه الدراسات. كما خرجت الدراسة بنتائج من أهمها أهمية دراسة البعد الاجتماعي للغة، والارتباطات القائمة بين اللغة والمجتمع ، وتأثير اللغة على حياة الناس .

Abstract...

Language attracted the interest of scholars, and researchers has its own effects on the current issue. This study aims at exploring the role of social relationship between society and language, it gains its importance from its contribution in understanding the nature of social dimension language . The researcher employ “Descriptive method” as it is the most suitable for the research purpose.

There is number of results such the importance of social dimension language, associations between society and language and language effect on people lifestyle.

Keywords: language, Society.Dimension.

مقدمة

يهتم علم الاجتماع بدراسة الحياة الاجتماعية داخل المجتمعات الإنسانية وما تضم بداخلها من أوجه التفاعل والتعبير ، ويظهر ذلك في وجود الظواهر الاجتماعية ومنها اللغة ، فكيان الإنسان وجوهره إنما يتحدد في لغته وحساسيته اللغوية والثقافية وحياته الاجتماعية، وتعدّ اللغة من أعظم الاكتشافات التي عرفها الإنسان على مر العصور، فقد نشأت باتفاق جمعي تفاعلي نتيجة متطلبات الفرد والجماعة، وهي من أهم العوامل المؤثرة في بقاء المجتمع وعدم زواله .

فاللغة وليدة حياة الناس الاجتماعية أي الاجتماع الإنساني وبذلك تكمن أهميتها في كونها أداة للتواصل والاتصال ، كما أن هناك ارتباطا بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية في شكل علاقات ينتج عنه تأثير وتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي أي الثقافة في فترة زمنية محددة ومكان معين، مما يجعلها تعكس الحياة بكامل معانيها ومظاهرها. (هادى نمر، 1988، 9)

اللغة كظاهرة اجتماعية هي وسيلة أو أسلوب للتصرف تمارس فرضا إجباريا على الفرد ، وتتصف بالانتشار في كل المجتمعات وبين كل الأفراد رغم وجودها بشكل مستقل بذاتها، وبذلك فإن اللغة تعدّ من أبرز الظواهر الاجتماعية بما تتميز به من خصائص تشترك مع باقي الظواهر الاجتماعية الأخرى فيها. فعلم الاجتماع يهتم بدراسة الظاهرة الاجتماعية ومن ضمنها اللغة فقد ظهر الاهتمام بدراسة ظاهرة اللغة داخل فرعه علم اللغة الاجتماعي ، والذي يدرس اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع، ويحاول الكشف عن القوانين والمعايير الاجتماعية التي توضح و تنظم سلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع ، وتكمن أهمية وقيمة هذا العلم في إيضاح طبيعة اللغة بصفة عامة، وإيضاح خصائص محددة للغة بصفة خاصة ، لذلك فمن الصعب أن نجد في خصائص المجتمع ما يمكن أن يكون أكثر تمييزاً للمجتمع على نفسه أو يوازيها أهمية في الدور الذي تؤديه اللغة في عملية قيام المجتمع بوظيفته ، كما أن اللغة يمكن أن تزيد من فهم المجتمع .

إن علم اجتماع اللغة يدرس ويهتم بدراسة الخطوط العامة التي تميز المجموعات الاجتماعية من حيث إنها تختلف في اللغة ولسانها، والوقوف على القوانين التي تخضع لها الظاهرة اللغوية في حياتها وتطورها وطرائق الاستعمال المكتسبة وما يحدث لها من مظاهر التغير في شؤون الحياة ، ومبلغ تأثرها بما عداها من الظواهر الاجتماعية التي لها تأثير على اختيار الناس للغة التي يتخاطبون بها ، وما تحمله هذه اللغة من أنماط الحياة لدى المتحدثين بها . (بشر، 1997، 39)

ويرى (تشومسكى) أن اللغة واحدة من الخصائص التي تقتصر عليها حياة النوع الإنساني في مكوناتها الأساسية ، فهي جزء من تركيبية الإعداد الإحيائي المشترك الذي لا يختلف فيه أعضاء النوع الإنساني إلا من أصيب بعيب عضوي شديد ، ويضيف أن اللغة تدخل بطريقة جوهرية في الفكر والفعل والعلاقات الاجتماعية. (تشومسكى، 1990، 14)

ويحدد كمال بشر عند تعريفه لعلم اللغة الاجتماعي والذي يدرس اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وعنصراً أو مكوناً من مكونات الثقافة أن من أهم وظائف هذا العلم هو البحث عن الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع والنظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة استجابةً لوظائفها الاجتماعية المختلفة مع بيان هذه الوظائف وتحديدها. (بشر، 1997، 41)

مشكلة البحث

تعدّ اللغة أحد أهم الظواهر الاجتماعية التي أوجدها التفاعل الإنساني منذ القدم فاللغة وسيلة اجتماعية، وأداة للتفاهم بين الأفراد والجماعات، فهي صلة الفرد في تفاعله مع الآخرين وهي تتطلب الكلام أو الاستماع أو الكتابة أو القراءة ، وهذه المتطلبات الأربعة هي أدوات إتمام عملية التفاعل الاجتماعي ، وتطرح إشكاليات عدة من بينها طرائق التفكير وموضوعاته وما يرتبط بها من عناصر التفاعل الاجتماعي الذي يعطيها بعدها الاجتماعي ، فمشكلة البحث تكمن في الإجابة عن التساؤلين التاليين:

1. ما هي أهمية ظاهرة اللغة وبعدها الاجتماعي وعلاقتها بالمجتمع ؟
2. ما هو الدور الذي تلعبه اللغة في التأثير على ثقافة المجتمع ، وطرائق التفكير كوسيلة

اجتماعية؟

أهداف البحث

يهدف البحث الحالي إلى ما يلي :

1. محاولة وضع تصور سوسولوجي بعيدا عن استخدامات اللغويين .
2. إيضاح العلاقة الاجتماعية بين اللغة والمجتمع.
3. توضيح عناصر التأثير التي تحدثه الظاهرة اللغوية في ثقافة المجتمعات الإنسانية .
4. توضيح تطور أساليب الحياة البشرية ومعها طرائق التفكير واستخدامات الألفاظ

اللغوية

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

1. تسليط الضوء على البعد الاجتماعي للغة .
2. توضيح مدى ارتباط اللغة بحياة الناس كظاهرة اجتماعية وما ينتج عن ذلك ، فقد حدد لنا "إدوارد سابير" (جوزيف، 2007: 74) أن معيشة الناس لا تتم في العالم الواقعي الموضوعي ولا من حيث الممارسة الفعلية للحياة الاجتماعية فقط .
3. نلاحظ أن اللغة أصبحت وسطاً للتعبير في المجتمع الذي يتم فيه الالتقاء بين أفراد المجتمع ولا يتم التلاؤم مع الواقع من دون استعمال اللغة.
4. تتضح أهمية دراسة البعد الاجتماعي لظاهرة اللغة ، فاللغة ليست وسيلة عارضة لحل مشكلات التواصل والتأمل فقط وإنما هي شكل من أشكال الحياة البشرية وذلك بإبراز الدور السوسولوجي

لها

5. المنهج المستخدم :

إن الحصول على المعارف والمعلومات حول البعد الاجتماعي للغة ، ومن ثم جمعها وتحليلها وسير أغوارها وتفسيرها فقد تم ذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي الذي يخدم ذلك .

الإطار النظري:

تعريف اللغة اجتماعيا :

تعد اللغة ظاهرة اجتماعية تقتضيها حياة البشر ؛ كوسيلة للتخاطب دفعت بالجنس البشري إلى تكوين جمل من كلمات وعبارات عشوائية في الأساس، صاحبها أصوات لا معني لأي منها منفرداً، فاللغة ظاهرة مرتبطة بكيان الإنسان فلا إنسانية بدون لغة (الحبابي، 1980، 110) حيث ينظر إليها أحياناً بعدّها من أكثر الصفات التي تميز البشر عن غيرهم من الكائنات، وبما ميزهم الله تعالى من نعمة العقل والتفاعل والاستعداد للتفاهم والكلام مع الآخرين،حيث كان التفاهم الإنساني أول الأمر، بالإشارات والرموز التي لا يزال بعضها في لغة الجماعات البدائية في شكل نقوش ورسوم وشواهد تاريخية ، ثم ظهر نظام التواصل اللفظي الفريد،باستخدام الكلمة ويقول دويل وهاريس " اذا لم تكن الكلمات ما نعنيه بالفعل ، فإنها إذا لا يمكن استخدامها للتعبير عما نريد أن نقول " (جونز،2010، 180) أي التفاهم بالأصوات التي تألفت منها الكلمات في اللغات المختلفة التي يستخدمها البشر، ويتسم بأنه نظام ذو درجة عالية من التخصص والتطور المستقل، كما يتسم بأسلوب معقد في استخدام الرمز كنسق يحقق من خلاله البشر الاتصال بالآخرين ، والتي تعني نفس المعاني والدلالات لكل من المتحدث والمستمع ،فاللغة كتعبير تشير إلى مجموعة الألفاظ والصيغ اللغوية ، وخصائص الأساليب الكلامية التي تميز طائفة معينة ، والتي تخضع بدورها لطبيعة المحيط الاجتماعي والثقافي لمستخدميها .

كما أنها سلوك توجهه معايير ومعانٍ وقيم معينة في مواقف التفاعل التي تحددها المناسبات الاجتماعية ، ويحدد " جورج ميد " الصلة الوثيقة بين اللغة والتفاعل الاجتماعي في وجود المثيرات ووحدتها والتي تنعكس على الشخص المتحدث والمستمع (شتا، 1998) حيث إن اللغة لا يمكن أن

تظهر من دون تفاعل ذهني دائم أسوة بالمعرفة ، كما أنها تعدّ من أهم مظاهر وجود الجماعة والمجتمعات وعنصراً ضرورياً لبقاء وتماسك وحداتها والمحافظة على كيانها .

ومن الملاحظ أن معظم الحضارات القديمة قد اهتمت بدراسة أصل اللغة ، وعلاقة اللفظ بالمعنى ، وقواعد اللغة وتصنيف مفرداتها وصولاً إلى الاهتمام الاجتماعي بدراسة اللغة وعلاقتها بالمجتمع ، فهي سلوك اجتماعي مكتسب ، وتتأثر اللغات المختلفة تأثيراً متبايناً نتيجة لاتصال الشعوب ، وقيام العلاقات الاجتماعية بينها ، فاللغات هي وسيلة البشر في أن يعبروا عن أفكارهم ومعانيها على نفس المستوى من التعقيد، وهي شكل من أشكال الممارسة اليومية الاجتماعية كما أنها أولاً جزء من المجتمع فهي صيرورة اجتماعية ومشروطة اجتماعياً بالجوانب غير اللغوية من المجتمع.

ويعرف "سابير" اللغة بأنها طريقة إنسانية مكتسبة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام معين من الرموز اختاره أفراد المجتمع وتعارفوا عليه. (جوزيف، 2007، 72-74).

ويعرف ابن جني اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (ابن جني، د.ت، 31). ويستنتج من هذه التعريفات أن اللغة مجموعة من الأغراض، فالغرض الأول هي أداة التفكير الإنساني ، والثاني نقل المشاعر والأفكار من شخص إلى آخر والثالث هدف اجتماعي يتمثل في الترابط والتفاهم بين بني البشر .

ويذهب ابن خلدون في مقدمته متحدثاً عن مفهوم وطبيعة اللغة والإنسان والجوانب المرتبطة بهم ، فاللغة عنده هي كلها ملكات شبيهة بالصناعة ومرتبطة بتراكيب الألفاظ ، كما تناول فكرة التطور اللغوي وماهية الإعراب ووظيفته وحقيقته من حيث الطبع والصنع ، كما أشار إلى الفصاحة والبلاغة ، والتي تعني انطباق الكلام على مقتضى الحال وإفادة مقصودة للسامع ، كما أن استعمال المفردات في معانيها والاستعمال بالتكرار من خلال السماع من الآخرين وهو الطبع وهو يندرج تحت الجانب

الاجتماعي أي علاقة اللغة بالمجتمع وطبيعة هذه العلاقة ونتائجها في التنوع اللغوي وحاول إظهار المواءمة بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية وهذه المحاولة هي أساس العمل في علم اجتماع اللغة ويقصد ابن خلدون بـ (اصطلاحية اللغة) :

1- أن اللغة اصطلاح أو عرف أو تقليد وليست توقيفية أو وراثية أو غريزية، كما أنها ليست من صنع جماعة معينة وإنما اصطلاح يجري على سنن المتعارف عليه في الأمة أو الجماعة اللغوية المعينة ، ويأتي اتفاقاً حسب البيئة والظرف والحاجة.

2- الاصطلاح اللغوي وإن استقرت ثوابته وجوهرياته في بيئة أو فترة زمنية معينة قابل لأن يصيبه ما يصيب الأعراف الاجتماعية من الخروج عن الأنماط التقليدية بالتعديل أو التغيير أو التجديد والتحديث.

3- اللغة اصطلاح فهي وسيلة التواصل بين أفراد المجتمع ، والتواصل يقتضي وجود متكلم وسامع في المواقف التي تجمعهما ولا يتم التواصل إلا بالوقوف على أرض مشتركة من الثقافة والرؤية ، وبهذا يدرك ابن خلدون العلاقة بين اللغة والمجتمع فما يصيب المجتمع من تغيرات أو تنوعات في أنماط السلوك والثقافة لابد أن يظهر أثره في اللغة والعكس صحيح أيضاً . (ابن خلدون، 1982، 433-442)، كما تعني أهمية المصطلح في اللغة عند الجاحظ بأنه التأسيس اللغوي للمعرفة الذي يكون به التحاور بين أفراد ويستشهد بأن لكل صناعة ألفاظا . (الجاحظ، 1965، 65).

وقد ذكر ابن خلدون ستة عوامل اجتماعية تؤثر في حال اللغة وحدةً وتنوعاً وضعفاً وصواباً وخطأً ، وهذه جميعاً ذكرها كمال بشر و صنفها إلى ثلاثة عوامل مزدوجة الأطراف :عامل السلطان والدين ، فالدين له لغته وأساليبه واصطلاحاته الخاصة . ويظهر من النص التالي (ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق وزناته والبربر بالمغرب ، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك).

أما العامل الثاني فهو: عامل الاختلاط والعزلة ، فاللغة تقليد وعادة اجتماعية تتغير وتتعدّل بتتويع العادات والتقاليف وفتات المجتمع ، (اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ، ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن ، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها). والعامل الثالث: عامل الزمان والمكان : ولهذين العاملين أثرهما في حياة اللغة ، فالتغيير في اللغة بالزمان حقيقة واقعة أدركها ابن خلدون ، كما أن عامل المكان سبب وأثر لتغيير اللغة أو فسادها (بشر، 1997).

تعد اللغة بمثابة الوعاء لوسيلة التفكير التي يتحدد من خلالها رؤية العالم وقوانينه وشرائعه وبذلك تعدّ قيمة تعلمها ومعرفتها من ركائز النظام الاجتماعي الذي يفرض على أفراد المجتمعات على حد سواء اتّباعها ، وتهدف أساساً لتنظيم حياتهم وتنسيق العلاقات التي تربط بعضهم ببعض ويجد الفرد نفسه مضطراً إلى الخضوع لما ترسمه فهي من طبائع الاجتماع الإنساني، ولها مجموعة من الوظائف تخدم من خلالها الأفراد أو المجتمعات من بينها :

1- التواصل بين الناس وتبادل المعرفة والمشاعر وإرساء دعائم التفاهم والحياة المشتركة ،والذي يعنى الكلام وهو فعل تمرير المعلومات ، وهو ذلك البعد الإنساني في اللغة الذي لا يتمثل في المحتوى المتبادل أو في المعلومة المتبادلة ولكن في فعل التواصل ذاته ، لذلك فإن اللغة هي قبل كلّ شيء رابط اجتماعي كما أنها منظومة اجتماعية.

2- التعبير عن حاجات الفرد المختلفة .

3- ارتباط اللغة بأطر حضارية مرجعية ومفاهيم حضارية وتضرب في عمق تاريخ المجتمع .

من خلال ما عرض تعدّ اللغة ظاهرة اجتماعية تشترك فيها جماعة بشرية معينة ، وتنشأ من طبيعة الاجتماع ويشرف عليها العقل الجمعي ،وتتطوي على صفات وخصائص ذاتية تختلف عن باقي

الظواهر الأخرى كما حددها دور كايم ، على النحو الآتي :أولاً :تلقائية المنشأ أي أنها محصلة التراكمات التاريخية للمورثات الاجتماعية والثقافية ، عن طريق انتقالها من السلف إلى الخلف . ثانياً : الاتصاف بالنسبية رغم عموميتها ولكن اختلاف المجتمعات والجماعات في مورثاتها الثقافية من حيث الأساليب والكلمات والدلالات الصوتية يجعلها نسبية ، وربما يرجع ذلك إلى استخدام اللغة باختلاف الطبقة الاجتماعية والاتجاهات والأحكام. ثالثاً :إن اللغة ظاهرة تتميز بالعمومية بين مختلف الأفراد داخل المجتمعات البشرية على الرغم من وجود تنوع في أساليبها ولهجاتها ومفرداتها .. رابعاً : كما أنها جبرية أي أنها سلوك مباشر نوعاً من الإلزام الأخلاقي والقهر الخارجي على الأفراد والجماعات ، أي اكتساب وتعلم الأفراد لها بصورة تدريجية من داخل الجماعة . خامساً : الاعتماد والتساند والتأثير في تشكيل الواقع الاجتماعي (شتا، 1998).

ب . مفهوم اللغة في النظرية الاجتماعية :

كانت اللغة مثار اهتمام الكثير من المفكرين ومن بينهم الفلاسفة اليونانيون القدماء حيث اهتم أفلاطون بتحليل العلاقة القائمة بين لغة الكلام ولغة الكتابة وتحديد الطريق التي تطورت بها اللغات، وتحليل فئات اللغة وتصنيفها إلى الأسماء أي المصطلحات التي توظف في العبارات والجمل ، والأفعال التي يمكن أن تعبر عن الفعل وهو جزء من الجملة، ثم أسهم أرسطو بإضافة فئة أدوات العطف الذي حدده بأنه جميع الكلمات التي لم تكن ضمن فئات الأسماء أو الأفعال، ثم تمت إضافة أداة التعريف. واتبع النحويون الرومانيون واليونانيون في تحليل ظاهرة اللغة وعوامل تطورها، من هنا يمكن أن نستدل على استخدام النظرية الكلاسيكية للمدخل البنائي في التحليل الوصفي للغة ، وقد سادت أفكار النظرية اللغوية القديمة وأثرت على أفكار الكثير من المهتمين باللغة (شتا ، 1998).

وتحدد لنا النظرية التفاعلية الرمزية بأن الحياة الاجتماعية هي التفاعل الإنساني أو البشرى ويتم ذلك من خلال استخدام الرموز والإشارات وذلك من خلال نقطتين الأولى: تتمثل في الطريقة التي يستخدم

بها البشر الرموز بما يقصدوه لكي يتصل كل واحد بالآخر، والثانية: تتمثل في تفسيرات نتائج هذه الرموز على السلوك الخاص بالجماعات أثناء عملية التفاعل الاجتماعي . ويرى " ميد " أن اللغة تتيح لنا الفرصة لنصل مرحلة الوعي الذاتي وندرك ذاتنا ونحس بفرديتنا ، كما أنه يرى أن البشر يعتمدون على رموز وتفاعلات و مواضع مشتركة في تفاعلهم بعضهم مع بعض (غدنز ، 2005 ، 76)، ويؤكد "هربرت بليمر " أن التفاعل الرمزي باعتباره السمة المميزة لتفاعل الكائنات البشرية ، وأن تلك السمة تتطوي على ترجمة للرموز والأحداث والأفعال المتبادلة (شتا،1998)، فاللغة في نظرية الفعل الاجتماعي بأنها الصفة المميزة للحياة البشرية فهي توضح امتلاكنا للوعي وقدرتنا على التفسير وربط المعنى بالعالم المحيط بنا (جونز،2010، 179).

تتنظر النظرية الوظيفية إلى اللغة على أنها الاستعمال الاجتماعي ، أي استخدام اللغة لتحقيق أغراض معينة من قبل أفراد معينين متخاطبين في شكل حوار متبادل أحدهم متكلم والآخر متلقي خلال مجتمع معين ، لأنها أي اللغة ترتبط وظيفياً بالأنشطة الفعلية للإنسان ، كما ينظر إلى اللغة على أنها وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للوصول إلى أهداف وغايات محددة، وتساهم اللغة في النظرية الوظيفية في بناء الواقع الاجتماعي والثقافي، كما تساهم في إدراكنا وملاحظتنا للتجارب الاجتماعية . إن كل اللغات لها وسائلها الخاصة في الدلالة على الاختلافات الاجتماعية، وإن التوجيه والتضامن يعدان من أهم العوامل المؤثرة في عملية الاتصال الاجتماعي المباشر بين الأفراد، وأنهما يعبران عن حاجة الفرد لتحديد رؤيته في طبيعة هذه العلاقات.(تيماشيف،1982).

كما ينظر " بارسونز وستراوس " إلى الظاهرة اللغوية بأنها محور الترابط والالتقاء وتبادل التأثير بينها وبين باقي الظواهر الاجتماعية الأخرى مثل المعرفة أو الفكر ، والتفاعل الاجتماعي ، والتساند الوظيفي طالما أن العناصر الاجتماعية والثقافية والشخصية عامة ومشاركة لجميع الظواهر الاجتماعية .

فالنظرية البنائية الوظيفية تركز على الجانب الإبداعي للغة ، وعلاقة اللغة بالذهن ، ومقدرة الناس على اكتساب النظام اللغوي للمجتمع ، وربط اللغة بالسياقات الثقافية والاجتماعية والتجمعات والجماعات من حيث نشأتها وتطورها وتنوعها .

كما ينظر دور كايم في تحليله لمفهوم السلوك الاجتماعي ووسائله وشروطه وغاياته ويندرج تحته السلوك اللغوي بأنه ذو طابع مجتمعي ، وعلاقته بالتفاعل الاجتماعي، بل إن الإنسان ذاته هو أحد وسائل الموقف ، أما المجتمع فهو الغاية المقدسة التي ينبغي على كل سلوك اجتماعي أن يتجه لترسيخها ودعمها حتى يكتسب مشروعيتها وسلامته (ليلة، 1983: 489).

يركز " فيبير" في تحليله للبناء الاجتماعي على مفهوم الفعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية حيث هو " أي اتجاه أو نشاط إنساني يخلع عليه الفاعلون أو مجموعة الفاعلين معنى ذاتياً " أي يتضمن اتجاهات وأفعال الآخرين ، وبذلك يشكل الاتجاه الذاتي نحو الآخرين البعد الاجتماعي في الفعل ، بشرط أن يكون موجهاً نحو سلوك الآخرين .

وتتحدد أهداف الفعل العقلاني من خلال توقع الفاعل لسلوك موضوعات البيئة الخارجية ، بحيث تلعب هذه التوقعات المتعلقة بسلوك موضوعات البيئة الخارجية ، أو سلوك الأشخاص الآخرين دورها كشرط أو وسائل لغايات عقلانية ، تقدر وتنجز بشكل عقلائي (ليلة، 1983: 625-627)

دور اللغة في الحياة الاجتماعية :

عناصر التأثير الذي تحدثه الظاهرة اللغوية :

يذهب ابن خلدون إلى أن اللغة كظاهرة اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات وهي نتاج الاجتماع الإنساني وتتطور بالاستعمال ، وتتجدد في كل لحظة بالممارسة والتواتر من جيل إلى جيل ، كما أنها ملكة اجتماعية تكتسب اكتساباً من خلال التعلم والتكرار وتستقر في نفوس الأفراد كما لو أنها فطرية

وهي على عكس ذلك تربية اجتماعية وتفاعل مع الآخرين وتكيف مع لغة المجتمع ، وبذلك تكون لها عناصر التأثير المرتبطة بالاستعمال وعلاقات القوة وروابط الهيمنة كما يراها ابن خلدون .
ومن الملاحظ أن المجتمعات بكل مؤسساتها الأسرية والتعليمية وحتى الترفيهية منها تحرص في أن تجعل الفرد متأثراً بفكرها وسلوكها وطبيعتها وأنماطها ، مستخدمة اللغة كأداة لتحقيق أهدافها داخل هذه المؤسسات وتكوين شخصيات أفرادها الاجتماعية وبذلك يكون فرداً فاعلاً ، ومن ثم يتحدث بلغة هذه الجماعات ووفقاً لأعرافها .

وقد لخص العالم "أولبرت" وظائف اللغة الاجتماعية فقال: إنها تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيمةً اجتماعية بسبب استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على أفكاره وتجاربه ، وإنها تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلاً بعد جيل ، كما إنها وسيلة لتعلم الفرد، تعينه على تكيف سلوكه وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه ، وهي تزود الفرد بأدوات التفكير، والتعاون الفكري لتنظيم حياته ، ويتم ذلك بالتفاهم وتبادل الأفكار بين أفراد المجتمع ، والوسيلة العملية الميسرة لهذا التفاهم والتبادل هي لغة الكلام ، فاللغة أهم مظهر لوجود الجماعة والمحافظة على كيانه ، فنجد أن اللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات المجتمع (منصور، 1982، 19).

أ. اللغة والمجتمع:

تعدّ اللغة ظاهرة اجتماعية وثيقة الصلة بالبناء الاجتماعي وقيم المجتمع ، كما يعدّ الكلام هو وسيلة التواصل والتأثير والملزم للطرفين والمؤسس للعلاقات والتبادلات بينهما، أو هو النظام الرمزي. ويؤكد "بيتر ترينج" Trudgill على أهمية السلوك اللغوي الكلام حيث ينتج عنه أن اللغة وظيفة هي إقامة علاقة اجتماعية والثاني دور اللغة في توفير المعلومات حول المتحدثين . كما أنها قانون سابق على الوعي الفردي، والقوانين الوضعية التي يسنّها البشر، فاللغة أو الكلام هي التي تجعل المجتمع

الإنساني ممكناً، فرؤية الإنسان لبيئته مشروطة بلغته وهنا تبدو العلاقة متبادلة حيث يؤثر المجتمع على اللغة كما أن المجتمع والبيئة ينعكسان من خلال اللغة (شتا، 1998).

ويرصد التراث العلمي العديد من العلاقات الممكنة بين اللغة والمجتمع وذلك على النحو التالي:

أولاً :- تأثير البنية الاجتماعية على البنية اللغوية: إن أساليب اللغة التي يلجأ إليها المتحدثون تعكس مسائل تتصل بالأصل الاجتماعي أو الإقليمي، أو العرقي وحتى النوع، حيث توجد عدة طرق للتحدث، واختيار الكلمات، وقواعد الحوار وغير ذلك يتم تحديدها بشكل كبير من خلال مقتضيات اجتماعية معينة، ويتم دعم هذه العلاقة من خلال الاختلاف في أسلوب اللغة وبنيتها باختلاف المراحل العمرية التي يمر بها الأفراد الفاعلون اجتماعياً.

ثانياً :- فاللغة يمكن أن تؤثر في البنية الاجتماعية، حيث تكون ذات تأثير وتمنح المتحدث العديد من صور التمييز.

ثالثاً :- توجد علاقة تأثير وتأثر متبادلة بين اللغة والمجتمع، فكلّ منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، وهناك تفاعل وتداخل قد يصل حد التطابق بين سلوك الكلام والممارسة الاجتماعية.

إن علاقة اللغة بالمجتمع يمكن أن نلاحظها من خلال مفهوم الخطاب أو التخاطب كذلك وهو من المفاهيم الأساسية المرتبطة باللغة ولا يمكن فصله عن مفهوم اللغة، فاللغة والخطاب لا يمكن إرجاعهما إلى الذات أو إلى المؤسسة، بل يتميزان بوجود معايير وهو ما سمح لبعضهم استنتاج العلاقة البنوية في مفهومها للغة ، ويحمل كل منهم خصائص مختلفة عن بعضهم بعضاً، أي أن الخطاب مشروط بالصيرورة الاجتماعية ويشكل جزءاً من المجتمع رغم ما يتميز به من قدرة وإمكانيات.

ويعتقد "دي سوسير " أنه لا توجد أية قيود اجتماعية عن الخطاب أو الكلام، بينما يعتقد أن اللغة مقيدة من الناحية الاجتماعية، أي معرفة المتحدث باللغة التركيبات اللغوية والأنماط الصوتية

المستخدمة للدلالة على معنى بعينه. وترتبط علاقة الفرد أو المجتمع بالكلام أو الخطاب ويحدد لنا "هدسن" تحكم المجتمع في الكلام أو الخطاب فيه بطريقتين :

أولاً : عن طريق تحديد مجموعه من المعايير نتعلم كيفية الالتزام بها، وتختلف هذه المعايير من مجتمع إلى آخر .

ثانياً : يوفر المجتمع الدوافع الضرورية لحنثا على الالتزام بهذه المعايير، إضافة إلى ذلك يوفر المجتمع مجموعة من المفاهيم للتفكير والتحدث. إن التخاطب يمثل الوسائل الرمزية الأساسية التي يبني بها الأعضاء النظام في المواقف الاجتماعية . فاللغة تمثل محوراً جوهرياً للحياة الاجتماعية (هدسن، 1987، 168).

اللغة والممارسات الثقافية والاجتماعية :

ينظر إلى الثقافة بأنها أساليب الحياة الخاصة والمميزة للمجتمعات المختلفة ، وهي تتضمن وسائل الاتصال بالآخرين حيث تبرز أهمية اللغة كونها من أساليب الاتصال، وبذلك تعدّ اللغة إحدى العناصر الفاعلة في الثقافة، كما أنها تلعب دوراً كبيراً كوسيلة للتفاهم عالمياً حيث تعدّ أهم وسيلة للثقافات ، وأساس كل نشاط ثقافي ولأن الفرد يكتسب ثقافة مجتمعه من خلال اللغة، فاللغة تعدّ شرطا للثقافة . ويذهب " ماكيفرو بيدج " إلى أن الثقافة هي مجمل التراث الاجتماعي للبشرية ، وتشمل كل ما يصنعه أي مجتمع لنفسه من نظم اجتماعية، وأدوات ولغة ، وقيم (ماكيفرو بيدج، 1974، 115).

وإذا ما نظرنا إلى لغات معينة فإننا نجد أنها قد تم إنتاجها بواسطة ثقافات معينة تعبر عن حالة الجماعة، ولكن ليس من الضروري أن تتحكم في الأفكار والاعتبارات الثقافية، ووفقاً لهذا التصور يكون المعنى بالأساس مسألة تتصل بمقاصد المتكلم وأهدافه.

ويمكن أن نستنتج بأن اللغة هي في الأصل مجموعة من العناصر المكونة لثقافة المجتمعات ؛ وتتمثل هذه العناصر اللغوية سواء أكان ذلك في شكل أصوات، وكلمات وقواعد نحوية ، أم في شكل رموز أم

رسومات.....الخ.ولقد اهتم علماء اللغة بهذه العناصر اللغوية ودراستها وفهمها وفق تخصصهم، كما اهتم علماء التاريخ والآثار والإنسان في محاولة فهم باقي العناصر الأخرى ومن ناحية أخرى حاول علماء الاجتماع فهم الدور الذي تلعبه هذه العناصر في بناء المجتمعات، وتحقيق العيش المشترك بين الأفراد .

ويحدد لنا " سابير " أن من وظائف اللغة توجيه تفكيرنا نحو المشكلات والعمليات الاجتماعية، بوصف اللغة وسيلة للتعبير في المجتمع ، كما تعدّ اللغة أداة لتحقيق التوافق الاجتماعي مع الواقع، كما أنها هي التي تصوغ التراث الثقافي الشفهي والمكتوب لأي مجتمع و بالمعاني والرموز وتأثيرها على الثقافة كموجه للسلوك الإنساني في المواقف الاجتماعية المختلفة (عفيفي، 1995).

وتتعرض بعض التصنيفات على أن اللغة هي ضمن خمسة عناصر أساسية يمكن اتخاذها كمعيار لتصنيف البشرية إلى شعوب وأمم، وهذه الفوارق متمثلة في الآتي: الجنس البشري المشترك والدين والقومية واللغة والثقافة، ويمكن إضافة بعض العناصر الجانبية الأخرى مثل العادات والتقاليد والأعراف كخصوصية ثقافية في حياة هذه الشعوب أو الأمم، ويتم التعبير عن هذه العناصر بواسطة اللغة ، من هنا نجد الارتباط الحاصل بين اللغة والثقافة بوجه خاص ودورهما البارز في هذا التصنيف، إذ هما بمثابة الصورة المتكاملة والمرآة العاكسة لكل أنواع النشاط الإنساني في هذه الأمة أو تلك، وهذا الارتباط بين اللغة والثقافة وحدة أو تنوعا يظهر بوضوح في درجات الاختلاف اللغوي والثقافي معاً، فإذا كان الاختلاف كبيرا بين اللغات كان الاختلاف بين الثقافات واضحا لكن درجة الاختلاف في الثقافات تضعف في حالة التقارب اللغوي، كما أن حالة الاتفاق أو الاختلاف في البيئة اللغوية الواحدة ينطبق ويؤثر بشكل أو بآخر على الوضع الثقافي لهذه البيئة (حجري،1972،151-180).

ويؤكد شتراوس على وجود علاقة بين الثقافة واللغة وهي من أعقد العلاقات ، فاللغة هي نتاج ثقافي ، واللسان الذي يستخدمه مجتمع معين يعكس الثقافة العامة للسكان . فاللغة والثقافة في علاقة وثيقة

قوامها علاقة الجزء بالكل، والتأثير والتأثر، فاللغة ذات خصوصية في المجتمع الواحد بينما الثقافة تتصف بالعمومية والشمولية ويمكن أن نجدتها في الممارسات اليومية والاجتماعية لأفراد المجتمع، كما أن اللغة هي تجسيد حي لكل المعارف الإنسانية والخبرات وهي دليل شخصية الأفراد وهويتهم الثقافية. (هدسن، 1987، 135).

فبيئة الإنسان ليست مادية فقط وإنما ثقافية، فهي التي تؤلف المحيط الثقافي للإنسان بما لها من دلالة خاصة، كما أنها نظام ثقافي، فالبيئة والإنسان يتأثران كذلك بمؤثرات تراثه الثقافي المرتبط بالتقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والأهداف والمعتقدات التي تحملها الألفاظ اللغوية، في طيها وتوحي بها، وهي:

أ- الأداة الرئيسة التي تنتقل بها سائر تلك النظم الأخرى والعادات المكتسبة.

ب- الألفاظ التي تتغلغل خلال الصور ومضموناتها في آن واحد معاً.

وهي الوسيلة التي تنقضيها الثقافة فتبقى، وعن طريق التراث تنتقل، وهي ذلك التدوين الذي يديم بقاء الحوادث التاريخية، ويجعلها في متناول الناس عامة لبحثها من جديد، ومن جهة أخرى، فإن الأفكار أو المعاني لا وجود لها إلا في رموز يستحيل فهمها دون الرجوع إليها مرة ثانية، وبذلك تشكل تلك الرموز، نوعاً من البقاء الضروري لوجود الأشياء المرموز إليها، بعد أن كانت بداية استخدامها فقط للتعبير الرمزي عنها (رضوان، 1976).

الخاتمة:

تمثل اللغة جزءاً وشكلاً من أشكال الحياة الاجتماعية فهي تحمل البعد الاجتماعي المرتبط بحياة الناس التي تختلف عن حياة سائر المخلوقات الأخرى، من هنا يمكن أن نستنتج أن الظاهرة اللغوية محور الترابط والالتقاء وتبادل التأثير الإنساني أولاً، و ثانياً بينها وبين باقي الظواهر الاجتماعية

الأخرى. فاللغة كظاهرة تملك قدرات عامة و لامتناهية، كما أن اللغة وظيفة هي إقامة علاقة اجتماعية بتوفير المعلومات حول المتحدثين .

ومن الملاحظ أن التفكير الفلسفي يولى ظاهرة اللغة اهتماماً كبيراً وهو النظر إلى اللغة والخطاب بوصفهما شكلاً من أشكال الممارسة الاجتماعية. وتركيز النظريات الاجتماعية على تفسير كيفية تأسيس الواقع الاجتماعي ونقله إلى الآخرين من خلال هذه الممارسة الاتصالية. ولعل مثل هذا الاختلاف الواضح في تحديد طبيعة واتجاهات العلاقات الممكنة بين اللغة والمجتمع، يتطلب منا الاعتراف بأن هناك نقصاً في معرفتنا المتصلة بكل من اللغة والمجتمع. فاللغة هي في الأصل مجموعة من العناصر المكونة لثقافة المجتمعات. ولهذا تزداد اليوم أهمية دراسة البعد الاجتماعي للغة، ومحاولة إيجاد الارتباطات الممكنة والقائمة بين اللغة والمجتمع وما يعتريها من تغيرات وتبدلات.

قائمة المصادر والمراجع :

1. بشر، كمال (1997) مدخل علم اللغة الاجتماع، ط.3، القاهرة: دار غريب.
2. تشومسكي (1990) اللغة ومشكلات المعرفة ، تر. حمزة المريني ، ط.1، المغرب: دار توبقال.
3. تيماشيف ، نيقولا (1982) نظرية علم الاجتماع، ترجمة محمود عودة وآخرون، القاهرة: دار المعارف.
4. الجاحظ (1965) الحيوان ، ط.2 .
5. ابن جني، أبو الفتح عثمان (د- ت) الخصائص ،تحقيق محمد على النجار ، بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي .
6. جوزيف، جون (2007) اللغة والهوية، ترجمة عبد النور خراقي، عالم المعرفة، العدد 342.
7. جونز، فيليب (2010) النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية ، ترجمة محمد ياسر خواجه، ط.1 ، القاهرة : العربية للنشر والتوزيع ،.

8. الحبابي، محمد عبد العزيز(1980) تأملات في اللغو واللغة،ليبيا: دار الكتاب العربي.
9. حجازي، محمود فهمي (1972) اصول البنائية في علم اللغة والدراسات الاثنولوجية، بيروت.
10. ابن خلدون(1982) مقدمة ابن خلدون ،ط.5 بيروت ،لبنان: دار الرائد العربي.
11. رضوان، محمد مصطفى (1976) نظرات في اللغة ،ط.1.
12. شتا، السيد على (1998) علم الاجتماع اللغوي ، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.
13. عفيفي، السيد عبد الفتاح (1995) علم الاجتماع اللغوي ،القاهرة : دار الفكر العربي.
14. غدنز، أنتوني (2001) علم الاجتماع ، تر. فايز الصياغ ، ط.4، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
15. ليلة، على(1983) النظرية الاجتماعية المعاصرة دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع ، ط.2،القاهرة: دار المعارف.
16. ماكيفروبيدج (1974) المجتمع الجزء الأول، ترجمة على احمد عيسى، ط.3 ، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
17. منصور، عبدالمجيد سيد احمد (1982) علم اللغة النفسي ، ط.1 ، جامعة الملك السعود، الرياض :عمادة شؤون المكتبات.
18. هادي نهر(1988) علم اللغة الاجتماعي عند العرب ،ط.1، الجامعة المستنصرية .
19. هدرسن(1987) علم اللغة الاجتماعي ، ترجمة محمود عبد الغنى عياد ،ط.1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.